المحاضرة الخامسة : النظام العسكري العثماني بالجزائر "١٥١٨-١٨٣٠م"

مقدمة:

بعد إلحاق الجزائر بالدولة العلية سعى العثمانيون إلى جعلها قوة مهابة الجانب في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وذلك من خلال تطوير مؤسساتها خاصة المؤسسة العسكرية بفرعيها البحري والبري باعتباره ركيزة الدولة لتصبح قوة عظمى لا يستهان بها من خلال ردعها للهجمات الخارجية الأوروبية المتتالية وقمع الثورات الداخلية والمحافظة على استتباب الأمن الداخلي ، إضافة إلى مساهمتها في العديد من الجوانب ، ومنها الجانب الاقتصادي وذلك من خلال إثراء الخزينة العامة للجزائر لتصبح حين ذلك قوة عسكرية واقتصادية متكاملة .

نظام ومهام الانكشارية في الجزائر:

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني نظام عسكري شبيه بالنظام السائد في الدولة العثمانية ألا وهو الجيش الإنكشاري الذي يقصد به الجندي الجديد،وكمصطلح فهو مكون من كلمتين يني شيري أويكجيري وهو لفظ تركي بمعنى العسكر الجديد، كما يسمى كذلك باليولداش ومعناها رفيق الطريق، وهي فيالق عسكرية تكونت من أبناء الدول المسيحية الذين تم جمعهم بطرق السبي أو الاختطاف ما بين السادسة والخامسة عشر من عمرهم من مختلف الولايات العثمانية في أوروبا. حيث ربوا تربية إسلامية خالصة ينظرون إلى الإسلام كدين والجيش كأسرة والجهاد كعقيدة في الحياة.

يرجع تأسيس الجيش الإنكشاري بالجزائر إلى عام ١٥٢٠م ، وهي فرقة أرسلها السلطان سليم الأول (١٥١٥- ١٥٢٠م) مع الوفد الجزائري الذي يحمل رسالة الجزائريين المعبرة عن رغبتهم بالانضمام إلى الباب العالي، و كانت هذه القوة البحرية محملة بأربعة آلاف مقاتل من المتطوعين الأتراك وكمية من الذخائر والتجهيزات الحربية، وفي عام ١٥٢٥م سمح السلطان سليمان القانوني لخير الدين بربروس حق التجنيد في مناطق

الأناضول وأصبح لها وكالات خاصة منها خان أزمير الذي يشرف عليها موظفون يشرفون على جمع المتطوعين و إرسالهم إلى الجزائر ، و بذلك أصبح للجزائر جيش خاص بها يعرف بأوجاق الجزائر. ويعيش هؤلاء المجندون في أوضات (بيوت) ويطلق على كل واحد منها اسم قشلة. يتكون هؤلاء المجندون من فقراء الأناضول و الشبان المغامرين الذين كان التجنيد بالنسبة لهم فرصة الخروج من الوضعية المزرية في بلادهم، وكان يتم جمع هؤلاء المجندين في موانئ إسطنبول وسميرين والإسكندرية و رودس وموانئ جزيرة كريت.

تشير معظم المصادر أن الإنكشارية في الجزائر عددهم يتراوح ما بين ١٠ و١٢ ألف حسب الظروف وقد يصل إلى ١٥ ألف في أحسن الظروف عندما يلتحق الجندي الجديد بالخدمة العسكرية يخضع إلى نظام غريب، حيث يخدم عاما ويستريح عاما آخر ثم يعود إلى الجيش عاما آخر ثم يعود إلى الحالة المدنية مرة أخرى أي سنة بسنة حتى يموت أو يتخلى عنها "بالتناوب". هذا وتتمثل خدمتهم أثناء السنة العسكرية في ثلاث مراحل وهي:

أ- فترة التدريب على السلاح والحراسة.

ب-فترة أو مرحلة النوبة: معناها أن الجيش الموجود في الجزائر يذهب إلى مدن جزائرية أخرى "إستراتيجية" ليرابط فيها.

ج- المحلة: وهو الجيش الذي يخرج مرتين في السنة نحو الجهات النائية والصعبة لجمع الضرائب تحت حكم الآغا.

وكان لهذا الجيش ديوان يسهر على مصالحه، في حين يخضع نظام الترقية في الجيش الإنكشاري بالجزائر إلى درجات تصاعدية حيث كانت الترقية تتم بطريقة آلية ، وكانت الخدمة في كل رتبة تقضى بثلاث سنوات تقضى بتداول ، وكانت الرتب العسكرية للجيش الإنكشاري بالشكل التالي :

-**اليولداش:** وهو المجند الجديد الذي لا رتبة له ويدعى ب : يكي يولداش ، أي اليولداش الجديد.

- **أسكي يولداش:** و هي ثاني رتبة في الجيش ، يكون الجندي قد عمل ثلاث سنوات.

- **باشي يولداش** : رئيس فرقة متكونة من ٢٠ جندي وفيها يتدرج إلى رتبة وكيل الخرج ثم أوضاباشي ثم إلى رتبة البلوكباشي.

- **وكيل الخرج** : وهو المكلف بالشؤون العسكرية للجيش البري والبحري ، ويعتبر مقتصد الحامية والفرقة والكتيبة.

- **وكيل الخرج آلتي** : وهو وكيل الخرج ثانوي .

- **اشجي أوعشجي** : وهو الطباخ ويعمل تحت أوامر وكيل الخرج.

- **أوضاباشي:** رئيس البرج أو الحصن.

- **بلوكباشي** : وهو المسؤول عن الأودة في الأوجاق ورتبته تعادل رتبة نقيب.

- **الآغا باشي** : وهو من الضباط الكبار في الجيش إلى جانب الكاهية.

- **الكاهية :** قائد سامي يشرف على مجموعة من الضباط الذين يعينون في قصر الداي.

- **الآغا** : وهو القائد الأعلى للجيش.

كان الذين يحملون رتبة البلوك باشي هم الذين يكونون الديوان وعددهم في هذه الهيئات ٦٠ ، يجتمعون صباح كل يوم في محل مخصص لمداولاتهم للاطلاع على الأعمال الإدارية أي مراقبة الحكومة بمقتضى السلطات المخولة لهم.

ومن مهامه الأولى للانكشارية هو الدفاع عن الجزائر وذلك من خلال تصديه للغارات الخارجية والسهر على استتباب الأمن داخل أرجاء الوطن كصد الحملات الإسبانية بشهادة حملة اللورد إكسماوث على الجزائر سنة ١٨١٦م.

مهام الجيش العسكرية الداخلية التي أوكلت له قيامه بحملات عسكرية في المناطق البعيدة عن السلطة المركزية بهدف إخضاع القبائل المتمردة، كما كانت فرق الجيش تقوم

بحراسة الحصون والقلاع والأبراج بالتناوب لذلك سمية بالنوبة. ومن هذه التمردات التي عرفتها الجزائر والتي قام بها بعض الطرقيين : الثورة ابن الأحرش في الشرق الجزائري و الدرقاوي في غرب البلاد وكذلك ثورة التيجاني في الجنوب الغربي.

مرتبات الجند:

كانت الأموال التي تنفق على الجند يطلق عليها مصطلح علوفة ، وتكون إما شهرية أو منحا أو مكافأة طارئة ، فالأجرة الشهرية تنفق على الجند كل شهرين وتسمى الجاريات الصغرى لأنها تخص قسما من الجند فقط، بينما بقية الجيش يعين له موعد سنوي ليقبض الأجر وتعرف بالجاريات الكبرى ، وتدفع الأجور بحضور الداي و الآغا والكاهية والبلوك باشي والخوجات الثلاث والشاويش والخزناجي إضافة إلى اليولداش و إثنين من وكلاء الخرج ، وكان دفع الأجور يكون في محرم ، ربيع الأول ، جمادى الأولى ، رجب ، رمضان، وذو الحجة وتكون في ساحة القصر أمام البايات في بايلكاتهم ويستلمها بالعملة الفضية أو الذهبية. وهذه الأجرة يتقاضاها أي جندي مقابل الخدمة التي يؤديها في أوقات السلم أو الحرب.

الأجرة تبدأ ضئيلة ثم تزيد كلما صار الجندي قديما في سلكه أو عندما يكون هناك انتصار في الحروب و المعارك كان راتب الجندي في الجزائر بحسب وحدة نقدية يطلق عليها صيمة حيث يبدأ صغيراً خلال سنوات الخدمة الأولى ثم يأخذ في الازدياد بمرور السنين(الاقدمية) وفي المناسبات السعيدة والانتصارات في المعارك أو حين تولي السلاطين والباشاوات الحكم وولاة الأبناء إلا أن يصل إلى الحدّ الأقصى، الذي لم يكن باستطاعته أحد من الجنود تجاوزه وكان ٨٠ صيمة.

ويتم تسجيل رواتب الجند في سجلات لها تسميات مختلفة، منها: دفتري يكيجريان" أو " دفتري يكيجريان محروسة جزايري" و كذلك " علوف دفتري" كان يشرف عليها موظف يدعى "مقطاعجي" .

كان الباب العالي يتكفل عادة بنصف رواتب الجند والنصف الآخر يدفع من مداخيل الإيالة والتي تكون من العشور والزكاة والضرائب والغنائم البحرية والهدايا التي تأتي من البايلكات.

إضافة إلى الأجر يقدم للإنكشاري الخبز أربع خبزات يوميا ، أما الإنكشاري غير المتزوج فيحرم من الخبز، إضافة إلى مساعدات أخرى تتمثل في تخفيض أسعار المواد الاستهلاكية كاللحوم والإعفاء من دفع الضرائب نهائيا .

إن الجندي الانكشاري إذا اقترف جرما فإن محاكماته تتم في محاكم سرية وخاصة بهم وكذلك السجون، وحتى إذا كانت عقوبته ترقى الى حكم الإعدام فانه لا يسمع به احد .

ومما يلاحظ عن هذا الجيش في العهد العثماني الأخيرانحرف عن مهمتهم الأصلية التي كانت في البداية مقتصرة على الدفاع عن حدود البلاد واستقراره ، إذ أصبح الجنود يولون اهتماما متزايدا بالجانب المادي و أصبح يخرج عن الطاعة ويتدخل في شؤون الدولة ويعتدي على أموال الناس بالقوة أو الاحتيال والنصب عليهم، ويحدث الفتن والقلاقل والاضطرابات باستمرار، حيث اعتبر نفسه فوق القانون وبذلك أصبح أفراده أهل فساد تقليدا بزملائهم في إسطنبول الأمر الذي أدى بالسلطان محمود الثاني عام ١٨٢٦م إلى ذبح الكثير منهم، بينما في الجزائر دفع بالداي علي خوجة سنة١٨١٧م، بنقل مقر الحكم من الجنينة إلى القصبة، لأنها أكثر حصانة وأمنا

وعندما دبّ الصراع بين الإنكشارية ورجال البحرية "الرياس" في عهد الدايات استطاع الرياس استعادة النفوذ والسلطة وأصبحت محتكرة من طرف الرياس أو الطائفة.

طائفة رياس البحر:

عرفت البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني تطورا كبيرا خاصة في القرنين ١٦و ١٧م ، حيث اهتم الحكام العثمانيين بتطوير هياكل الأسطول وبتشييد السفن والعمل على زيادة عددها ، و بسبب الصبغة العسكرية التي كان يتميز بها العثمانيين سعوا في بناء أسطول

بحري كبير يمثل المحور الأساسي لقوة الجزائر العسكرية ومن أهم السفن التي انتشرت في الجزائر خلال العهد العثماني، ومنها : الفرقاطة –الغليون – بومبارد – الغادرغة – كورفيت– الغليوطة – شالوب .

قادة الأسطول الجزائري يطلق عليهم رياس البحر ونجد على رأسهم القبطان رئيس وهو القائد العام للقوى البحرية ونائبه باشا رايس و مسؤول المدفعية باشا طبجي، ورئيس الفرقة الانكشارية باشا الطريق. ومن ميزت الرياس أن سمعتهم كانت طيبة لدّى السكان عكس الجيش البري الذي كان ممقوتًا من طرفهم لأنه كان سببا في معظم المشاكل . أما من بين أشهر سفن البحرية الجزائرية آنذاك هي: البرتغالية ، رعب البحار ، مفتاح الجهاد ، الاسكندر الفاضل ، العناية الإلهية .

وخلاصة القول أن الجيش الإنكشاري هو الركيزة التي بنيت عليها الدولة طيلة أكثر من ثلاثة قرون. وقد عانى الجيش الكثير عندما فتح الباب لغير المؤهلين للخدمة العسكرية. وبذلك تحول من آلة الدفاع عن الوطن والجهاد وفداء للحمى إلى وسيلة للحكم أو مسير للحكم وراء الكواليس مما جعل البلاد تعاني الويلات وأخيرا هو الذي قضى على النظام بالاغتيالات وساهم في سقوط الجزائر في يد الاستعمار الفرنسي ١٨٣٠ نتيجة الإهمال واللامبالاة وانشغالهم بالأمور غير العسكرية .